المقالة الثالثة:

القصة المتداولة على الألسنة زمناً بعد زمن، وموقف طالب العلم منها

(قصة ابن سعدي أنموذجاً)

كتب: د. عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

ذكر العلماء لأسباب وضع الحديث علىٰ النبي ﷺ عدة أسباب، ومِثل ذلك يمكن أن يقال في وضع القصص، ونسبتها لأشخاص قد لا يكون لهم علم بها، أو رضاً بها لو علموا عنها، حمل الناس إلىٰ نسبة القصة إلىٰ الشخص:

إما حبهم له، أو كثرة فائدته، أو لطرافته، أو غير ذلك.

ومثل ذلك يقال في بعض الوقائع التي يظن الشخص الأولية في العثور عليها، أو اختصاصها بشيء دون غيرها، أو غير ذلك من الأمور.

وسأذكر هنا ثلاثة أمثلة علىٰ قصص وجدت في القرون السابقة ونسبت إلىٰ أشخاص، ولا يزال الناس يتناقلونها بينهم، وتجدهم ينسبونها إلىٰ بعض المعاصرين، قد يكون دافعهم أحد ما ذكرناه آنفاً.

ومثلها بعض الوقائع التي يظن أصحابها الأسبقية في العثور عليها، مع عدم صحة ذلك.

القصة الأولىٰ: قصة قول الله تعالىٰ: (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً):

رأيت مقطعاً انتشر عبر وسائل التواصل لشخص يروي قصة عن الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله تعالىٰ، مفادها أن شخصاً فقيراً يزور ابن سعدي لطلب الزكاة، وأن الشيخ ابن سعدي عرض عليه فائدة يستغني بها عن السؤال، فوافق الرجل، ثم إن الشيخ ابن سعدي قال له : ردد قول الله تعالىٰ (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وأنه صار يرددها في مسيره بين عنيزة وبريدة ، ثم استرسل القاص في قصته إلىٰ أن أفاد بأن الرجل اغتنىٰ بعد ذلك، وذهب إلىٰ ابن سعدي بعد سنتين أو ثلاث سنين بثمانية ريالات، فلما سأله الشيخ

ابن سعدي قال : إن هذه بفضل قول (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) ثم ختم ذاكر القصة المقطع بقوله: اصدقوا مع ربكم يرزقكم.

ولن أخوض في الرد علىٰ هذه القصة، وما احتوت عليه من أمور تشكك في نسبتها للشيخ ابن سعدي، فقد كتب أخونا الدكتور عمر بن عبدالله المقبل تنبيهـاً علىٰ التشكيك في صحة النسبة لابن سعدي، نشره علىٰ موقعه في (تويتر).

لكني أقول هنا: وقفت علىٰ مخطوطة محفوظة بمكتبة الملك سلمان بجامعة الملك سعود برقم (٣٤١٥/ ١٠) لرسالة في جواب الشيخ عبدالرحمن بن حسن علىٰ ابن منصور في إيجابه صيام يوم الشك، كتبها الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن ربيعة المعروف بالربيعي القصيمي في ٢ محرم سنة ١٣٥٣هـ، وكتب علىٰ صفحة عنوان الرسالة قصة مشابهة لهذه القصة، التي ذكرت في المقطع الصوتي، أنقلها هنا بنصها، (وانظر صورتها آخر المقال) وبعض ألفاظها بالعامية.

قال الناسخ: قصة ابن الحيدان مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: وذلك أنه أتاه يسأله من بيت المال، فقال له: هذا أوساخ الناس، هو ودك (يعني هل تريد) أعطيك منه، أو أدلك علىٰ فائدة، فقال: أعطني الفائدة، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا).

فأخذ الفائدة ومرَّ علىٰ بلد حريملاء، ووجد فيها (أحد) التجار، فقال التاجر: اشتر مني تمر، فقال: ليس معي شيء، فقال: نُمهِل عليك، لين يصفىٰ المال (يعنىٰ حتىٰ تتم تصفية الربح من رأس المال)، فقال: ليس عندي بعير أشيلها عليه (يعني: أحملها عليه) ، فشرىٰ البعير والتمر، وباعه وصفَّاه، وأنصفت الفائدة.

فلما جاء الحول، وإذا الشيخ بالرجل أتىٰ بزكاته ليضعها في بيت المال، فقال: من أين لك هذا؟ قال: هذه زكاتي، قال: من أين؟ قال: من: (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه

وكيلا)، فسُّر الشيخ بهذا. انتهىٰ.

فبهذه القصة المدونة علىٰ عنوان المخطوطة يظهر لنا أمران:

أولاً: ما ذكرناه أولاً من أن القصة قد تكون متداولة علىٰ الألسن منسوبة لأحد المتقدمين، ثم يعفو عليها الزمن فتنسب إلىٰ أحد المعاصرين، فهذه القصة مروية في زمن ابن سعدي إلىٰ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فلما ذهب ذلك الجيل صار هذا الراوي ينسبها للشيخ ابن سعدي رحمه الله.

ثانيـًا: أن ما ورد في هذه القصة المنسوبة إلىٰ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثم نسبت بعد ذلك للشيخ ابن سعدي رحمهما الله تُحمل علىٰ ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (الداء والدواء/ ١٤): وكثيراً ما نجد أدعية دعا بها قوم استجيب لهم، فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله علىٰ الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته، أو صادف الدعاء وقت إجابة، فأجيبت دعوته، فيظن الظان أنّ السر في لفظ ذلك، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعـًا في الوقت الذي ينبغي استعماله، علىٰ الوجه الذي ينبغي، فانتفع به، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرده، كافٍ في حصول المطلوب، فإنه يكون بذلك غالطـًا، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس .أ.هـ.

وقد ذكر نفس هذا الكلام ابن أبي العز في شرحه للطحاوية (١/ ٥٢٣) في إيضاحه لأحد أسباب عدم إجابة سؤال بعض الناس، فقال: منها: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلَّق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعنيها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد

المتعارضة في الظاهر ـ من هذا الباب ـ ، ثم ذكر كلام ابن القيم السابق بنصه، ولم ينسبه رحمه الله إلىٰ ابن القيم.

وبغض النظر عن أن هذا الذكر وهو تكرار قوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) مروي عن النبي ﷺ أو ليس بمروي عنه، فإنه ليس بالضرورة أن يكون ما حصل لذلك الرجل من التعلق بالله تعالىٰ والتوكل عليه عند قوله، سيحصل لكل من قالها، ولذلك ختم راوي القصة قصته بقوله: (اصدقوا مع ربكم يرزقكم)، فلو صدق الشخص مع ربه سبحانه لرزقه رزقًا واسعًا.

القصة الثانية: قصة الورق التي فيها لفظ الجلالة أو رسومات لأشياء محددة:

وقريبًا من القصص ما يوجد في بعض الموجودات من حجر أو ورق شحر من هيئات وأوصاف يظن أنها لم تحدث في الأزمنة السابقة، فيعتقد الشخص فيها الأولية أو غير ذلك.

وقد كنت اطلعت علىٰ مقطع انتشر في وسائل الإعلام ووسائل التواصل لأحد المسؤولين اطلع علىٰ شجرة لها ورقة كتب فيها لفظ الجلالة، أو اسم البلد الذي يعيش فيه، وظن أنها من مبتكرات هذا الزمن.

ومثله مقطع لأحد الأشخاص المحسوبين علىٰ العلم الشرعي وجد حجراً عليه رسمة، فخرج في الإعلام ليصفها ويضع فيها بعض الأوصاف والمبالغات، التي لا ينبغي أن تنشر في وسائل الإعلام.

ووجود مثل هذه الأحجار أو الأشجار شيء شائع من قديم، ليس أمراً طارئًا حتىٰ يكال فيه المدح، أو اعتقاد الأولية أو غير ذلك ، ومصداق ذلك أني كنت قرأت قصة قريبة من ذلك رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٩-١٠) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٨/ ٤٣) بسندهما إلىٰ أبي الحسن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي بالرملة قال: دخلت في بلاد الهند إلىٰ بعض قراها، فرأيت شجر ورد أسود، ينفتح عن وردة كبيرة، طيبة الرائحة، سوداء عليها مكتوب

ـ كما تدور ـ بخط أبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، فشككت في ذلك، وقلت: إنه عمل معمول، فعمدت إلىٰ جُنْبُذة (أي وردة مستديرة مرتفعة) لم تفتح، ففتحتها، فكان فيها وردة سوداء، فيها مكتوب بخط أبيض، كما رأيت في سائر الورد، وفي البلد منه شيء عظيم، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، لا يعرفون الله عز وجل.

وذكرها منسوبة لابن عساكر بسنده ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٥/ ٢٥٥).

وذكر قصة قريبة من ذلك الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٤) في ترجمة كليب أبي وائل فقال عنه: نكرة لا يُعرف، روىٰ قريش بن أنس عن كليب هذا، أنه رأىٰ بالهند ورداً في الوردة مكتوب ببياض: محمد رسول الله.

وذكر القصتين أيضاً السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (٢/ ٤٠٣)

وقد ذكر القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٨٩-٩٠) هذه القصص وذكر غيرها أيضاً من وجود حجر منحوت عليها ـ طبيعة ـ ما يقرأ بأنه عبارة الشهادتين أو عليها من الشكل ما يقرأ: محمد رسول الله.

فهذه الوقائع ومثلها كثير تدل علىٰ أن ادعاء الأولية أو الابتكار في بعض الأمور محض مبالغة وتعجل، ينبغي الابتعاد عنها، وبخاصة من طلبة العلم.

وهنا مسألة فقهية تحتاج إلىٰ تحرير: هل وجود مثل هذه الكتابات توجب حرمة لهذه الأوراق أو الأحجار، بحيث تعامل معاملة ما فيه ذكر الله تعالىٰ من الأشياء المكتوبة بعمل الآدمي؟ المسألة تحتاج إلىٰ تأمل.

القصة الثالثة: قصة من عزَّاهم بمريضهم قبل وفاته:

ولعل مما أختم به هنا أن هذا الأمر، وهو تداول القصص زمناً بعد زمن، ونسبة كلٍ لها إلىٰ زمنه، أن ذلك وصل حتىٰ للطُرَف وماجريات الحياة، فترىٰ الشخص يروي قصة طريفة حتىٰ

كأن المتحدث بها ينسبها إلىٰ شخص يعرفه بعينه، ولو بحثت لوجدت أنها لكثرة تداولها علىٰ الألسنة صارت كأنها وقعت في ذات الزمن الذي تروىٰ فيه.

فمن ذلك ما يتداوله بعضهم عن قصة رجل زار قومـًا ليعزيهم بوفاة والدهم أو قريبهم فوجد عندهم شخصـًا علىٰ الفراش مريض، فقبل أن يخرج عزَّاهم في هذا المريض، فلما سألوه: لماذا عزاهم والشخص لا يزال حيـًا، قال: أخاف أن يموت ولا أستطيع أن آتيكم مرة أخرىٰ.

والقصة تروىٰ بعبارات مختلفة، وهي كذلك أيضـًا في كتب الأدب المتقدمة، فقد جاء في المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري المتوفىٰ سنة٣٣٣هـ قال : حدثنا أبو حصين قال: عاد رجل عليلاً فعزَّاهم به، فقالوا إنه لم يمت فقال: يموت إن شاء الله.

وذكر ها أيضـًا أبو إسحاق الوطواط المتوفىٰ سنة ٧١٨هـ في كتابه غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ثم قال: وعاد آخر مريضـًا فلما خرج قال لأهله: لا تفعلوا في هذا كما فعلتم بالآخر، مات وما أعلمتموني به، وعاد آخر مريضـًا فلما خرج قال لأهله: أحسن الله عزاءكم فقالوا: إنه لم يمت، قال: قد عرفت، ولكني شيخ كبير لا أستطيع النهوض في كل وقت، وأخاف أن يموت فأعجز عن المجئ لأعزيكم به.

ومن سيتصفح كتب الأدب سيجد نماذج من هذا النوع يمكن جمعها في كتاب مستقل عن القصص المتداولة علىٰ ألسن الناس وما طرأ عليها من نسبة لفرد او جماعة.

والمقصد هنا: أن الباحث وطالب العلم ينبغي أن يكون لديه نظر فيما يسمعه أو يراه من قصص أو وقائع، قبل أن يجزم بنسبتها لأشخاص، أو أوليتها أو نحو ذلك، والحمد لله رب العالمين.

جواب الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن
ابن حسن على ابن منصور في ايجابه
صيام يوم الشك وتفضيله و
تجهيله وتشنيعه على
من نهى عن صيامه

فائدة قصة ابن الحميد ان مع الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله
وذالك انه اتاه يسئاله من بيت المال فقال له هذا او ساخ الناس
هو وذكر اعطيك منه او ادلك على فائدة فقال اعطني الفايدة
قال قل اذا اصبحت واذا امسيت رب المشرق والمغرب لا آله الا
هو فاتخذه وكيلا فاخذ الفائدة ومر على بلد حر كيملا ووجد
فيها التجار فقال التاجر اشتر مني ثم فقال
ليس معي شيء فقال نمهل عليك لين يصفي المال فقال ليس عندي
بعير اشيلها عليه فشرى البعير والتمر وباعه وصفاه و
انصفت الفائدة فلما جاء الحول واذا الشيخ بالرجل اتى بزكاته
ليضعها في بيت المال فقال من اين هذا لك قال هذه زكاتي قال
من اين قال من رب المشرق والمغرب لا آله الا هو فاتخذه
وكيلا فسر الشيخ بهذا

د.عبدالرحمن العسكر